الفصل الخامس

أدلة الإيمان

محاولة التشكيك في برهان السببية -العلّية- عند الملحد هو إعلان حرب

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: 35 - 36].

يُقرِّر القرآن الكريم أن العدم null لا يصنع شيئًا ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: 35]، وهذه بداهة عقلية مركوزة في الأذهان.

إن برهان السببية في هذا الإطار أعلى من القانون، بل وعليه تقوم جميع علوم الدنيا ومقاصد الغايات، ولولا هذا البرهان القبلي - أي الذي يسبق أي تجربة- لما سلَّمنا بصحة تجربة ولا قضية ولا مُبرهنة ولا فكرة، ولصارت جميع علوم الدنيا لغوًا فارغًا، ولصار مهرجو السيرك أكثر مصداقية من العالِم والفلكي والفيزيائي والمُفكر، فلولا اليقين العلمي من نتائج التجربة - ونتائج التجربة هي إحدى مسلمات السببية والدليل على صحتها - ما قام علم ولا استقرت فكرة ولا استوعبنا قضية في الدنيا، وبما أنه يوجد عِلم وبما أنه توجد حقائق علمية وأُسس نظرية يستقر عليها الإنسان ثم ينتقل منها إلى غيرها، يبقى برهان السببية دليلًا جوهريًا وأصيلًا على إثبات الموجِد والخالق، وعلى صحة القضية التي نحن بصددها.

ولم يَكفُر بمبدأ السببية إلا الملحد وعليه قبل أن يَكفر بالسببية أن يَكفر اضطرارًا بكل علوم الدنيا، وببدهيات عقله حتى يتسنى له أن يحيا في اتساقٍ مع إلحاده.

فلا يوجد شيء يسير في هذا الكون بلا قانون، فالكل مُسخَّر تماماً، بمنتهى السببية من

المِجرة إلى ما دون الذرَّة، وحتى التذبذب الكمومي يخضع لقانون و إطار كلاسيكي صارم، ولا يستطيع أن يتمرد على أُسس الميثودولوجيا السببية.

ولذا عندما حاوَل بشر ما بعد الأنبياء في أزمنة الفترات أن يتمردوا على التوحيد النقي، وأن يُسقِطوا تجسدات الإله في الشمس أو في الكواكب أو في تصاريف الطبيعة، كان الرد القرآني مستهجناً، وموضحًا تخريف هؤلاء بأن كل ما حولك في الطبيعة مُسخَّرٌ ومُسَيَّرٌ في قوانين صارمة، فكيف تعبده ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

فلا يستحق العبادة إلا الخالق، ولا يستحق أن يكون له الخلق والأمر إلا الله، فتبارك الله رب العالمين، فالله هو المُسيِّرُ لتلك الأجرام بالسببية، ومحاولة التشكيك في برهان السببية هي محاولة للقضاء على إمكانية قيام علم طبيعي ذو قوانين ثابتة وكلية وضرورية.

إذن نقد السببية هو نقد لكل علوم الدنيا وأصول القواعد وكليات البدهيات!

ولا أدري كيف لمُلحد أن يُعمِل السببية في معمله ويُسِّلم بوجودها ويُسلِّم بيقينية مُعطياتها، ويُسلم بنتائج تجاربه، ويُعمل السببية في كل كبيرةٍ وصغيرةٍ في حياته الشخصية وفي بحثه وحاله ومآله، ثم يوقف السببية في أصل كل هذه الأمور، ويفترض العدم مصدرًا وحيدًا للوجود ويُصِر على ذلك!!

النقد

لكن البعض ينتقد برهان السببية ويقول:

(1) يرى ديفيد هيوم أن السببية هي اطراد تكراري غير مُلزِم لا أكثر.

(2) الغزالي حُجة الإسلام يُنكر السببية.

(3) الخوارق تأتي في أصلها ضد السببية.

(4) التذبذب الكمومي Quantum Vacuum Fluctuationsما علاقته أصلًا بالسببية؟

الرد على النقد:

أُسطورة ان السببية هي اطراد تكراري غير ملزِم لا أكثر.

إذا أضفنا حامض مع قاعدي فإن النتيجة الحتمية هي ملح وماء ولو أعدنا التجربة مليار مرة، ولولا هذا التلازم ما قام علم ولا تأسست حياة، ولا استقر للناس معاش، والذي يدعي أن السببية هي إطراد تكراري غير مُلزم فإن كلامه أيضًا هو مجرد اطراد تكراري غير مُلزم، ولو كان لكلامه حقيقة فهو كلام خاطيء ولا يفيد معنًى تلازميًا، و إنما مجرد اطرادي تكراري، إذن أي فكرة تحارب السببية هي فكرة ذاتية الهدم، تهدم نفسها بنفسها، فنقد السببية هو نقد بلا قيمة، نقد فلسفي لا أكثر، لأنه لو كان صحيحًا فهو الآخر كلام مُطرِّد وليس إلا فكرة ذهنية.

ثم على أي دليلٍ من خارجنا نحن مضطرون للتمرد على برهان السببية؟

فالذي يحارب السببية يحارب بدهيات العلوم والفكر والقواعد والقوانين والمبادئ والأصول بلا قاعدة ولا قانون ولا مبدأ ولا أصل!!

فكل العلوم والقواعد والأصول تؤكد صحة السببية، وليس ثمة استثناء، إذن نقد السببية هو نقد للعلوم والقواعد والقوانين والأصول.

إن إنكار السببية يؤدي إلى الشكيَّة المطلقة، و إبطال العلوم والدراسات بحجة أن كل شيء ممكن، ولو كان هذا الإنكار صحيحًا لما حدث تقدم في حياة البشر، وبما أنه يوجد تقدم في حياة البشر إذن ثمة قواعد نصل إليها ونستقر عليها ثم ننتقل منها إلى غيرها، إذن برهان السببية هو مُسلَّمة الوجود البشري بإطلاق!

والذي يريد أن ينتقد لمجرد النقد فعليه أن يأتي بدليل فلسفي أو تجريبي أو عقلي أو تجريدي أو نقلي يدعم موقفه و إلا فليصمت، فكما يقول الأصوليون إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل.

والذي يحاول أن ينتقد برهان السببية الذي استقرت عليه العقول، يصبح مثار سخرية حتى من علماء المادة قبل غيرهم. يقول [ستيفن هاوكنج] مستهزئًا بالفلسفة التي تدور في هذا الإطار

في كتابه الأخير التصميم العظيم ص41 بنسخته الأصلية: «في عام 1277 قام أسقف باريس بوضع منشور من 219 هرطقة تجب إدانتها في أنحاء البلاد، وأحد هذه الهرطقات هي الإيمان بالسببية، وبتلازم قوانين الطبيعة، ولم تمض شهور حتى مات الأسقف بسبب تلازم أحد قوانين الطبيعة حين سقط عليه سقف الكاتدرائية بفعل قانون الجاذبية وبفعل السببية التلازمية!».

إن الذي يحارب البدهيات هو مسفسط حتى الثمالة، ولا يفعل ذلك إلا في إطار السفسطة العقلية وفي قاعات الدرس بينما هو في واقع حاله يمارس الإيمان بالسببية في كل لحظةٍ وبلا تردد!

أُسطورة أن الإمام الغزالي رحمه الله -حجة الإسلام- يُنكر السببية.

أما بخصوص الإمام الغزالي رحمه الله فهو ينكر السببية التي تجعل الجوهر في المادة وفي السبب والمُسبِب، ردًّا منه على الماديين والدهرية، فإنكار السببية في هذا الإطار هو لإثبات تدَّخل أعلى، أي سببية لكن على مستوى كُلي وهو الله عَزَّوَجَلَّ وهذا يتضح من كلام شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله حين قال: «إن الله يأتي بالأشياء بالأسباب وبدون أسباب وبضد الأسباب»، فهذا ليس نقدًا للسببية بل هو توكيد للسببية لكن على إطارٍ أعظم وأن قيود الطبيعة ليست شرطية!

وهل يوجد عاقل لا يستطيع الجمع بين إيماننا بالسببية كبديهة عقلية وبين كلام الغزالي رحمه الله؟

بل هل ثمة إنسان على ظهر البسيطة يؤمن بالله ويؤمن بالسببية كبرهان عقلي جوهري، ثم يستهجن شيء من كلام الغزالي رحمه الله!!؟

إن نقد الإمام الغزالي ليس للسببية كبرهان عقلي وبديهة عقلية، وإنما نقد السببية كشيء جوهري في ذات الأشياء!

فالإمام الغزالي ينفي ضرورة التلازم بين الظاهرة وأسبابها، ويُسند الأمر إلى تقدير الله إن شاء وقعت الظاهرة وإن شاء لم تقع!

وهذا المنهج تتبناه الفرق الكلامية بالمناسبة.

أما عن الخوارق:

فالخوارق هي توكيد للسببية؛ لأنها جاءت بتدخل إلهي في إطار نظام مؤسسي، والاستثناء المُقيَّد يؤكد القاعدة كما هو مُقرر عند الأصوليين، إذن الخارق يؤكد وجود مُسبِّب وهو الله، فلولا المُسبِّب ما وقع الخارق، وبالتالي فالخارق هو توكيد إضافي على صحة برهان السببية.!

حُجة التذبذب الكمومي Quantum Vacuum Fluctuations، التي ناقشناها في الفصل الثالث من هذا الكتاب، هل تخالف مبدأ السببية؟

بخصوص مبدأ عدم اليقين عند [هايزنبرج]، فخلاصة الرد ننقلها بتصرف من كتاب التصميم العظيم لستيفن هاوكنج ص 169 - 171 بنسخته الإنجليزية حين قال: «في حال مبدأ عدم اليقين لهايزنبرج يجب أن نعلم أنه يستحيل أن يوجد مكان يخلو من الطاقة ونقل الطاقة، ولابد أن يحتوي على أقل قدر من الطاقة في هذا الفراغ، ويحدث أن تظهر وتختفي لحظيًّا جسيمات، لكن هذا الظهور والاختفاء محكوم بعالم الكوانتم المادي - له قوانين وأُسس وأُطر ضابطة- أي أننا لسنا في العدم بل في عالم مادي.. ولو صح أن هذه الجسيمات تحتوي على طاقة لانهائية لكان المفترض بمجرد ظهور الكون وظهور هذه الجسيمات لانهائية العدد والطاقة أن تؤدي إلى انكماش الكون على نفسه فورًا وانتهائه وهذا بداهة ما لم يحدث».

الخلاصة: أن ظهور هذه الجسيمات لا يخالف قانون حفظ الطاقة، إذن يخضع لبرهان السببية في جميع تجلياته، لكنه لا يخضع للإطار الزمني، وهذا أول الإشكال وآخره، فالجسيمات يمكن أن تقترض طاقة من المستقبل فتظهر ثم تتلاشى دافعةً القيمة التي قامت باقتراضها بالضبط لحظة التلاشي، لكن هذه المساومة واقتراض طاقة من المستقبل تحدث في الإطار المادي داخل حدود الزمان والمكان، فلولا الزمان المخلوق والموجود لما كان لهذا الاقتراض وجود ولا معنى! ولا جدال بين الفيزيائيين على أن العدم الكوانتي هو عدم موجود داخل حدود الزمان والمكان، والكون جاء من اللازمان واللامكان!

ولا جدال أن التذبذب الكمومي في جميع صوره يخضع لقانون وإطار كلاسيكي صارم، ولا يستطيع أن يتمرد على قوانين المادة ولا يستطيع كسر قانون حفظ الطاقة.

فالتذبذب الكمومي خاضع لقوانين متصل الزمكان space time continuum، ويدخل مع

المكان في نسيج متصل لا يمكن تجزئته أو تمزيقه - تجريديًا وليس أنطولوجيًا-، ولذا فالتذبذب الكمومي يحدث داخل هذا النسيج بقواعد النسيج وعندما يستلف طاقة من المُستقبل، ففي هذه الحالة هذا مستقبل بالنسبة للراصد، لكنه جزء لا يتجزأ من النسيج الكوني وبالتالي استلاف طاقة لا يُحدِث خرقا في قانون حفظ الطاقة، لأن النسيج الزمكاني في لحظة حصوله على تلك الطاقة التي قام بإقراضها لحظة تلاشي الجسيمات لم يتغير شيء فيه، ولم يختل قانون حفظ الطاقة، ولم ينفصل الزمن عن الأبعاد المكانية الثلاثة.

ولا أجد حُجة لألاعيب الإلحاد المعاصر في الكفر بالصانع إلا من قبيل قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ [الكهف: 56]، وبالتالي برهان السببية برهان جوهري لم يتم كسره.

ولا يكفر ببرهان السببية إلا الملحد! ولذا فهو في حرب شعواء أمام العلم والعقل والبرهان الحتمي العِلّي السببي، ومن أجل ذلك أنا أقول دائمًا أن الملحد يستحق الخلود في النار بسبب غباوته قبل كفره وإلحاده، لإنكاره أعظم البدهيات تُرًا - برهان السببية-، حيث إنه يفترض السببية كقانون في كل شيء ثم ينزعها بعد ذلك من أصل كل شيء، فهو يؤمن أن السببية أقوى وأعظم قانون في الوجود، ثم ينزعها من أصل كل الوجود ومن أصل كل موجود، فصار أُضحوكة كل مرصود ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: 35 - 36]!

الغائية والعلم

يزعم الكاهن الملحد أن معرفتنا بظاهرةٍ ما تنفي حاجتنا إلى تفسيرها وبالتالي إلى مُسببها، وبالتالي كلما تقدم العلم كلما ضاقت الأمور المجهولة عندنا، ولذا يزعم الكاهن الملحد أن نسبتنا الشيء لخالقه هو من باب إله الفجوات لا أكثر!

في البداية؛ العلم هو وصف الظاهرة بُغية تفسيرها.. فالعلم يفكِّر في كيف تتنفس الهواء وكيف يدخل الهواء إلى الرئتين، والحويصلات الهوائية، وطريقة تبادل غاز الأُوكسجين مع غاز ثاني أوكسيد الكربون.. لكن لا يتعامل العلم مع أسئلة من قبيل: لماذا يتنفس الإنسان؟ وما الغاية من ذلك؟

العلم يُحلل جيدًا ظاهرة النوم، ويحدد النشاط العصبي لمناطق مُعينة من المُخ أثناء النوم، ويُقسم النوم إلى طورين رئيسين، هما طور حركة العين السريعة للنوم rapid eye movement، وطور انتفاء حركة العين السريعة للنوم non rapid eye movement.. لكن لا يتعامل العلم مع أسئلة من قبيل: لماذا ننام؟ ما الغاية من ترك النوم مع وجود دوافعه؟

فهذه أمور ليست علمية، لأن العلم لا يستوعبها، وليس لأنها غير مُهِّمة.

بل نستطيع أن نقول أن الأمور التي لا يستوعبها العلم هي الأصل وهي الأساس وما يستوعبه العلم هو الشيء الظاهري التافه البسيط.!

هل معرفة طريقة عمل الدائرة الكهربية في الكمبيوتر تنفي وجود مُسبب للكمبيوتر وغاية من صنعه لها؟

العلم يستحيل أن يخبرنا شيئا عن صانع الكمبيوتر أو صانع العقل الإلكتروني أو صانع الإنسان الآلي لكن حتما يخبرنا كل كبيرة وصغيرة في الطريقة والقوانين التي تحكم عملية انتقال المعلومات داخل البروسيسور... العلم يستحيل أن يخبرنا شيئا عن عقل صانع الكمبيوتر أو غايته من صنع اكمبيوتر، لكن العقل بكل بساطة يستدل على غاية صانع الكمبيوتر وعلى عقله وهدفه حين قام بصنع الكمبيوتر بمجرد رؤية الكمبيوتر.. هذه بديهة عقلية لا علاقة لها بكونك ملحد أو مؤمن.

ألا يكون استبعاد صانع الكمبيوتر من المنظومة خطأً منطقيًا ومنهجيًا وإن كان علميًا لا دليل عليه..!!؟

ألا تتفق معي أنه يستحيل استبعاد صانع الكمبيوتر من المنظومة إلا عن طريق سفسطة جدلية عقيمة؟

والله أخبرنا في كتابه أن منظومة الخلق تسير بالأسباب وخلقها وسيّرها سبحانه بالأسباب.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 99].

يصف الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله أن لكل موجود كالكتاب مثلًا عللًا أربع؛ العلة

المادية وهي الأصباغ والورق الذي صُنع منه الكتاب، والعلة الظاهرة وهي شكل الكتاب وهيئته، والعلة الفاعلة وهي المؤلف وصانع الكتاب والمنسق، والعلة الغائية وهي الغرض الذي من أجله تمت كتابة الكتاب.. والعلة الغائية تقع خارج نطاق العلم ولا يستطيع أن يُخبرنا بها إلا العلة الفاعلة[1].

ولما كان العلم لا يتعامل مع العلة الغائية تم إسقاطها من الحسبان لكن الحقيقة أن العلة الغائية هي الأصل..!!

وقد ظهر سوفسطائيون ينكرون العلة الغائية اعتمادًا على العلة الظاهرة وقد استهزأ سقراط بهم فقال أثناء محاكمته متهكماً: «إنني جالس الآن هنا لأن جسمي يتكون من عظام وعضلات والعظام عندما تتحرك والعضلات في استرخائها وتوترها ذلك جعلني قادرًا على ثني أطرافي، ولذا انا أجلس هنا في هذا الوضع المنحنى...»[2].

فالعلة الغائية لوضع سقراط هكذا هو أنه في محاكمة.

أما العلة العلمية المادية لوضعه هكذا هي شد العضلات والأوتار.

الغاية هي جواب لسؤال آخر لا يتعلق بالعلم... وأكثر الأسئلة أهمية وإثارة تقع خارج قدرات العلم فعلى سبيل المثال: ما معنى الخير والشر.. الصواب والخطأ... النجاح والفشل... المعنى واللا معنى.... القيمة... الغاية.. مصدر القوانين.... لماذا الآن وليس قبل ذلك..... ماذا قبل ذلك...

هذه أسئلة خارج نطاق العلم ليس لعجزالعلم وقِصر أدواته بل لأنها تقع خارج إطار العلم والمادة معا..!!

والإنسان لم يتبَنَّ العلم إلا عندما علم أن الطبيعة تتبع قوانين ثابتة وإعدادًا بعناية وعظيمَ صنع وروعة خَلقٍ، ولم يفعل العلم أكثر من إطلاق التسميات على هذه القوانين ثم حصد الجوائز نتيجة الكشوف العلمية... فالنظام المدهش والقابلية للتنبؤ والإنضباط والمصداقية والتي لولاها ما قام العلم... كل هذا يدعو للتساؤل:

(1) وهم الإلحاد.... د. عمرو شريف.
(2) محاورة فيدون 97.

من الذي يقف خلف القضية ككل.....!!

الله يقف وراء قصة العلم كلها

والخالق أراد منا أن نفهم الكون فخلق قوانين الكون ممكنة الاستيعاب..

وقضت حكمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير....

أدلة اليقين الديني هل يمكن حصرها في معيارٍ واحد؟

مسألة الإيمان الديني والوصول إلى ضرورةٍ يقينيةٍ بصحة الإسلام، هذه مسألة تجتمع عليها أدلة متكاثرة توجب في مجموعها يقينًا ضروريًا وتسليميًا بصحة الرسالة الخاتمة، وسأنقل في نقاطٍ مختصرةٍ شيئًا منها:

1) دليل الفطرة المُعدة والممهدة لتلقي الوحي الإلهي، فالفطرة هي خِلقة مُقتضية للتوحيد، يقول الشيخ حسنين محمد مخلوف شيخ الأزهر السابق في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]، أي لم أخلق الثقلين إلا مُهيئين لعبادتي بما ركَّبت فيهم من العقول والحواس والقُوى، فهم في حالة صالحة للعبادة، مُستعدة لها، فمن جرى على موجب استعداده وفطرته آمن بي وعبدني وحدي، ومَن عاند واستكبر اتبع غير سبيل المؤمنين.

2) المعيار الجوهري في التسليم بصحة الرسالة هو صدق النبي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رائعته ثبوت النبوات ص 573: «ليست المعجزة هي الشرط الأوحد للنبوة، فمُدعي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمُبشَّرون قبل انشقاق القمر والإخبار بالغيب والتحدي بالقرآن،... وكثير من الناس يعلم صدق المُخبر بلا آية البتة، وموسى ابن عمران لما جاء إلى مصر وقال لهم: إن الله أرسلني علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات. وكذلك النبي لما ذكر حاله لخديجة وذهبت به إلى ورقة ابن نوفل قال: هذا هو الناموس الذي يأتي موسى، وكذلك النجاشي، وأبو بكر علموا صدقه علمًا ضروريًا لما أخبرهم بما جاء به وما يعرفون من صدقه وأمانته مع غير ذلك من القرائن يوجب علمًا

ضروريًا بأنه صادق، وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقترن به قرائن يُعرف بها صدقه بالضرورة فكيف بمن عُرف بصدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا مَن هو أصدق الناس أو أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني».

3) موافقة صفة النبي الخاتم واسمه ونعته لما يجده أهل الكتاب موصوفًا في كُتبهم، ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: 157]، وبسفر نشيد الإنشاد في التوراة وإلى اليوم إسم محمد بالعبرية.. الذي يترجمه النصارى في الترجمة العربية إلى مشتهى الأمم، محمد نطقا وكتابة في ترجمة The KJV Old Testament Hebrew Lexicon Original Word من اليمين إلى الشمال: dmxm وبالنطق اللاتيني تتطابق مع «محمد» ....Transliterated Word Machmad Phonetic Spelling makh-mawd.

وفي الإنجيل إلى اليوم الباركليتوس القادم الذي بشَّر به المسيح والذي معناه باليونانية أفعل تفضيل من الحمد أي أحمد، والبارا كليتوس ليس هو الروح القدس كما يُروج كهنة النصارى، لأن المسيح ذكر أن الباركليتوس لن يأتي حتى يذهب المسيح والروح القدس نزل على المسيح على هيئة حمامة قبل هذا الحوار الذي تنبأ فيه بقدوم أحمد بسنوات.

4) موافقة ما جاء في الرسالة لبديهيات العقل ومتطلبات النفس وحاجة الخلق، فأشبع الإسلام جوعنا الروحي وتألقنا الذهني، وانسابت مبادئه إلى القلوب من تلقاء نفسها انسياب البديهيات!

5) الإسلام الدين التوحيدي الأنقى، الدين الشمولي الأوسع والأشمل، الدين الإيماني الروحي العملي المادي، الدين الذي يدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياتك حيت يكون أمرك كله لله.

6) الإسلام الذي يوافق في عقيدته عقيدة جميع أنبياء العهد القديم فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة لنهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود وإبراهيم وموسى وداوود ويونس وهارون وعيسى.. فعقيدة هؤلاء جميعا هي عقيدة الرب إلهنا رب واحد بلفظ التوارة والإنجيل.. هذه العقيدة التي لا تعرف تثليث

ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى - انتزاع الروح القدس من الآب - ولا آلهة قومية.. يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: 163]، إذن فالإسلام ليس ديانة كالديانات وإنما هو أصل الديانات وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات، وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد.

7) وقوع ما تنبأت به الرسالة على نحو عجيب عبر السنين والأيام!

إلى آخر ذلك من المعايير الكثيرة!

ولذا فمن الخطأ بمكان وضع معيار واحد في مسألة تحتمل وتنضبط بعدة معايير، ولذا فقد استخدم القرآن الكثير من المعايير في إثبات صحة الرسالة وصحة التوحيد وضبط العبودية لله، وكذلك استخدم النبي ﷺ معايير كثيرة، فمن الناس مَن يريد معيار القوة العضلية مثل ركانة الذي صرعه النبي فأسلم وكان هذا شرطه، ومثل بعض اليهود الذي أرادوا أجوبة علمية على أسئلتهم، ومثل فطاحلة اللغة الذين جذبتهم لغة القرآن، ومثل السود الذين وجدوا في القرآن أفضليتهم بالتقوى وليست باللون، ومثل البدو والأعراب الذين يتبعون مَن غلب، ومثل العلماء الماديين المعاصرين الذين يجدون في الإسلام إجابة عملية للتساؤلات الكبرى في الوجود، وكل صنف من البشر يجد في الإسلام ضالته طالما تحرر من قيود الكِبر وتقليد الآباء، ويوم القيامة ستُبلى السرائر وتكون المحاكمة الكبرى بحسب معطيات الإنسان وطاقته وما وصله من رسالة، وهكذا تتعدد المعايير ولا نرتكن إلى معيارٍ واحدٍ في إقامة الحُجة وهذه طريقة أعلم وأحكم وأسلم وأضبط.

ويمكن أن نتعاون سويًا في إضافة معايير جديدة لا قصرها في معيارٍ واحد ثم نُلزم البشر بما لم يُلزمهم به الله فنشُق على الناس ونُضيق عليهم واسعًا.

لكن دعونا نتدبر دليلًا على صحة الرسالة بشيءٍ من التفصيل ألا وهو: (صدق ما أخبر به القرآن الكريم).

لم تكن الظاهرة القرآنية مرغمة ببلاغتها فحسب، ولا مرغمة ببيانها لأصول الدين ومعتقد الأنبياء الأسبقين فقط، ولا توقفت على إصلاح تحريف المفترين.

وإنما الظاهرة القرآنية تتخطى كل ذلك. وتتجاوز ما كُتب عنها وانفتحت له عقول الأولياء من مهج الإعجازات المتضمَنة في الكتاب.

فأنت تقرأ في كتاب الله مغيباتٍ تحدث دون أن تتخلف.

وأخبار أقوامٍ لا يزيد بحث الزمان وتحريه إلا تصديقًا لوقوعها.

وتقرأ تحليلًا بديعًا لطبائع الأنفس وأهوائها وميولها وما يصدها ويردعها ويعيدها.

فتجد عبر سبك الأيام وخبراته وتراكم مشاهدة أحوال الناس تحقيقًا لكل ذلك!

ولو أردنا الشروع في بسط كل عجيبةٍ أتى بها القرآن لما كفانا الزمان.

نسأل الله أن يصفح عن العجز والتقصير. لكن عذرنا أن لمحة تُرشد لتقصٍ. ونفحةً تُهيئ لتدّبر. ومقدمةً تشد الهمم لمن يُكمل.

فاللهم اغفر وارحم!

وحسبنا هنا أن نرصد شيئًا آخر عرضته الظاهرة القرآنية بسلاسةٍ. وجاء هذا الشيء تضمينًا لا قصدًا لتحدٍّ ولا إظهارًا لمعجز.

فقد عرضت الظاهرة القرآنية موت أناسٍ بأعيانهم على الكفر:

فحدث ذلك دون أن يُسلم منهم أحد. ولو أن واحدًا منهم أسلم لانتهت الرسالة من فورها!

ومن هؤلاء:

- أبو لهب ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: 3].
- والوليد بن المغيرة ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: 26].

بل إن الظاهرة القرآنية أخبرت بأن الوليد ابن المغيرة قد رُزق ببنين كُثر وأنه يطمع في المزيد. لكن كلا!

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ [المدثر: 12 - 15].

يقول البغوي رحمه الله في تفسير الآية: «فما زال الوليد بعد نـزول هذه الآية في نقصانٍ من ماله وولده حتى هلك».

وأخبر القرآن أن شدة عناد الوليد ابن المغيرة وبسبب منعه الخير وكثرة إثمه وافتراءه على آيات الله عَزَّوَجَلَّ. بسبب كل ذلك سيُخطم بالسيف على أنفه فيُعرف بذلك!

﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ [القلم: 12 - 16].

قال ابن عباس: وقد فُعل ذلك يوم بدر -خُطِم على أنفه بالسيف-.[1]

بل لقد انتقلت الظاهرة القرآنية إلى منحىً آخر عظيمًا. إذ أكدت منذ بداية الدعوة أن هناك سجالًا حربيًّا سيجري بين حزب محمد ﷺ وحزب مشركي قريش.

وهذا قطْع إعجازي بأن قريش لن تُسلم بسهولةٍ ويسر كما ستسلم المدن البعيدة كيثرب وعمان واليمن والبحرين.

بل ثمة سجالات وسجالات ستجري. كل هذا في بدايات الدعوة. ولا أحد يستطيع التنبؤ بما سيكون بعد ساعات فضلًا عن عقودٍ من الزمان.

فقد قال الله تعالى مخبرًا عن هزيمة قريش قبل الهجرة: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: 45].

بل لقد تكررت هذه الآيات وهذا الوعيد في أغلب السور التي نزلت في بداية الدعوة.

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم: 75].

(1) انظر تفسير البغوي للآية..

أي سيهلك كفار قريش في معارك فاصلة ومن يموت منهم قبل ذلك فالساعة موعده.

أيُّ استشرافٍ للمستقبل هذا الذي يقطع بأن عناد هؤلاء سيطول حتى تكون الحرب؟

أي استشرافٍ للمستقبل هذا الذي يضع الدعوة ككل تحت مقصلة نبوءةٍ لو أسلم سادات قريش في الحقبة المكية لسقطت النبوءة وانتهت الدعوة؟

وكم من بوادي العرب وكم من القرى أسلمت سلمًا ودون حرب وفي يومٍ وليلة؟

ماذا لو استيقظ كفار قريش وساداتهم وأعلنوا إسلامهم؟

تخيل!

ثم انظر كيف جهّز كفار قريشٍ الجيوش وعادوا القبائل ودفعوا أنفس أموالهم ورجالهم لمحاربة الدعوة الناشئة، ولم يتفطنوا لمسألةٍ كهذه -إظهار أنهم أسلموا كذبًا- تريحهم وتريح أبنائهم أبد دهرهم؟

فإذا لم يكن القرآن موحىً به من عند الله فأي تأويلٍ آخر يمكن أن يطرحه الإنسان المتعقل لثقة النبي ﷺ بما سيحدث في مقبل الأيام؟

أيضًا تحدت الظاهرة القرآنية اليهود أن يتمنوا الموت فلم يفعلوا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: 6 - 7].

فما تمنوا الموت أبدًا -لأنهم يعلمون أنهم لو تمنّوه لماتوا من ساعتهم- مع الاقتضاء والمطالبة التي تدفع لجواب التحدي.

يقول القاضي عبد الجبار: «لا يتمنون ذلك مع خفته وسهولته ومع علمه ﷺ بشدة حرصهم على تكذيبه وفضيحته تعجب؟

ولم يقل: هذا من عندي. بل قال: هذا من عند ربي وإلهي وإلهكم الذي يعلم سركم وجهركم. وهذا أشد على اليهود من تحديه للعرب بمثل القرآن، وهذا مقام لا يبديه النبي ﷺ إلا مع اليقين.

وقد تحيرت الملحدة وأعداء رسول الله ﷺ لماذا لم يتمنَّ اليهود الموت زمن رسول الله ﷺ فيُكذبوه بذلك فيستريحون ويُريحون»[1].

وأخبر القرآن بالانتصار يوم بدر قبل أن تبدأ المعركة والحسابات المادية في صالح الكفار قولًا واحدًا ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره للآية: «وهذا خطاب... للمؤمنين يشجعهم اللّه، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين».

وأخبر القرآن أن المنافقين سيكذبون على يهود بني النضير ولن ينصروهم، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: 11 - 12].

وحدث ما أخبر به فإن يهود بني النضير أُخرجوا ولم يخرج المنافقون لنصرتهم بل تركوهم؛ وقوتلوا فلم ينصروهم.

ففي النهاية واجه يهود بني النضير وحدهم مصير خيانتهم ولم يتلقّوا أي عونٍ من المنافقين!

وكانت هذه بشارة -من القرآن الكريم- مستقلة بنفسها كما يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية.

وتنبأ القرآن بهزيمة الفرس وانتصار الروم في بضع سنين؛ قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: 1 - 5].

مع أن التاريخ في ذلك الوقت كان يكتب نهاية إمبراطورية الروم. وقد سحقت حملات أبرويز الفارسية كل أمل للروم في النصر حتى أخذ أبرويز صليب الصلبوت إهانةً للروم!

(1) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار 411 بتصرف..

ومع ذلك وفي لحظة تاريخية فاصلة يفيق هرقل وينتصر على أبرويز في معركة فاصلة وتتحقق الآية والمعجزة![1].

وأخبر القرآن أنه في يوم نصر الروم على الفرس سينتصر المسلمون أيضًا: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: 4].

وبالفعل فقد جائت أخبار نصر الروم في غزوة بدرٍ الكبرى![2].

وأثلج القرآن صدور الصحابة الكرام وطمأن قلوبهم بأنهم سيدخلون المسجد الحرام. وذلك بعد أن صدّهم المشركون عن البيت. قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27].

يصف د.عبد الله دراز رحمه الله الحدث العجيب كالتالي: «مُنع المسلمون من دخول مكة عام الحديبية، واشترطت عليهم قريش إذا جاءوا في العام المقبل أن يدخلوها عزلًا من كل سلاح إلا السيوف في القُرُب، فهل كان لهم أن يثقوا بوفاء المشركين بعقدهم وقد بلوا منهم نكث العهود وقطع الأرحام وانتهاك شعائر الله؟ أليسوا اليوم يحبسون هديهم أن يبلغ محله؟ فماذا هم صانعون غدًا؟ على أنهم لو صدقوا في تمكين المسلمين من الدخول فكيف يأمن المسلمون جانبهم إذا دخلوا عليهم دارهم مجردين من دروعهم وقوتهم، ألا تكون هذه مكيدة يراد منها استدراجهم إلى الفخ؟ وآية ذلك اشتراط تجردهم من السلاح إلا السيف في القراب، وهو سلاح قد يطمئن به المسلمون إلى أنهم لن ينالوهم بأيديهم ورماحهم، ولكنه لا يأمنون معه أن ينالوهم بسهامهم ونبالهم، في هذه الظروف المريبة يجيئهم الوعد الجازم بالأمور الثلاثة مجتمعة: الدخول، والأمن، وقضاء الشعيرة ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27]

(1) http://www.angelfire.com/nt/Gilgamesh/sasanian.html.

ولترجمة هذا الحدث العظيم إلى العربية يُنظر الرابط التالي: https://goo.gl/GWGDyr

(2) يُراجع تفسير البغوي للآية.

فدخلوها في عمرة القضاء آمنين، ولبثوا فيها ثلاثة أيام حتى أتموا عمرتهم وقضوا مناسكهم»[1].

وتنبأ القرآن بأنه سيأتي اليوم الذي يظهر فيه الإسلام على كل الديانات؛ قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: 33].

فجاء ذلك اليوم وظهر الإسلام على الدين كله!

بل إنه في اللحظات التي كانت تعاني فيها الدعوة الأمرين. تقرر أن الإسلام سيبقى إلى قيام الساعة: ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الروم: 56].

وبيّن القرآن أن رسول الله ﷺ سيعود إلى مكة بعد خروجه منها مهاجرًا ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85].

ومعاد الرجل هي بلده.

وأن الله عَزَّوَجَلَّ سوف يغني قريشًا ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [التوبة: 28].

وقد كان كل هذا!

وغير ذلك الشيء الكثير!

إن ظاهرة الإخبار القرآني للمغيبات التي تأتي بسلاسةٍ، وتقع كما أخبر لهي تقطع في كل جانبٍ من جوانبها بصدق صاحب الرسالة ﷺ.

الكشوف العلمية المتتابعة

لو نظرت إلى المجاز القرآني لوجدته بعيدًا تمامًا عن خيال العربي الذي ينشد في معلقاته وأشعاره الغزل ووصف المرأة والخمر، فالمجاز القرآني لوحة شاملة رائعة تختلط فيها الأنهار التي تجري في المروج الخضر مع الظلمات التي في البحار اللجية.

(1) النبأ العظيم، ص48 - 49.

وداخل هذه الوحدة الأدبية تتوافر الدقة العلمية والدقة المعرفية لأنه كتابٌ موحًى به من خالق السماء والأرض.

وفي إطار حديثنا عن الدقة العلمية. فالقرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد على وجه الأرض الذي يخلو من خطأ علمي واحد وهذا بحد ذاته أعظم إعجاز علمي على الإطلاق.

في المقابل أعطني كتيب أو مطوية صغيرة مكتوبة منذ مائتي عام فقط تصف أية مسألةٍ علمية وسأُخرج لك منها أخطاء صريحة.

فقد كَتب أرسطو ثلاثة كتب علمية «في الطبيعيات، في السماوات، في الأرض» هذه الكتب الثلاثة لا توجد اليوم فيها جملة واحدة صحيحة علميًّا، فقد كان أرسطو طبقًا لهذه الكتب يرى أن:

أسنان المرأة تختلف في العدد عن أسنان الرجل!

وأنه يوجد في صدر المرأة ثلاثة ضلوع فقط!

وأن وظيفة المخ تبريد الدم بينما وظيفة القلب تسخينه![1].

وكان أرسطو يرى أن المياه الجوفية تتكون نتيجة فجوة في قلب الأرض تنقل مياه المحيط إليها!

وما إلى ذلك من الخرافات العلمية التي تملأ كتبه، بينما يقول القرآن في هذه المسألة الأخيرة مثلًا-تكّون المياه الجوفية- خلاصة ما توصل له العلم منذ عقودٍ قليلة فقط، وهو أن المياه الجوفية مصدرها مياه الأمطار ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: 21].

فمصدر الميـاه الجوفيه هو الينابيع المتكونة من الأمطـار، وليس فجوة أرسطو التي في عمق القارة.

فمعجزة الضبط العلمي للقرآن الكريم هي أعظم معجزة علمية على الإطلاق!

(1) http://chsi.harvard.edu/bok/06.html.

وطبقا للمبدأ البوكيلي Bucaillism - الذي قام بصكه موريس بوكاي منذ عقودٍ قليلة- فإن القرآن الكريم بعد مراجعة علمية دقيقة هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد به خطأ علمي واحد رغم أن عمره 1400 عام[1].

مع أن القرآن كتاب إصلاح للمعرفة والسلوك في المقام الأول.

ولو ترحَّلت عن القرآن الكريم إلى غيره من الكتب فأنعمت النظر في منحى الدقة العلمية في تلك الكتب. لوجدت نصوصًا تقطع بالوضع -التحريف- في تلكم الكتب!

فلك أن تتخيل! لو أن نصًّا واحدًا من كتاب مثل الفيدا - الكتاب المقدس للهندوس- كان موجودًا في كتاب الله؟

وسأعرض الآن بين يديك شيئًا من نصوص كتب الأسبقين:

- تقول الفيدا أن: الأرض ثابتة لا تتحرك[2].
- وخلق الله الأرض ثابتة[3].
- والشمس تدور حول الأرض داخل عربة ذهبية يقودها سبعة أحصنة[4].
- والثور يُثبت السماء[5].

والياجور فيدا هي أحد الكتب الأربعة القانونية المقدسة لدى الهندوس

- ويقول الفيشنو بارانا أن الشمس تبتعد عن الأرض 800 ألف ميل، بينما المسافة علميًا 93 مليون ميل.
- ويقول الآثارفا فيدا: وفي خضم الماء يدور القمر [6].

(1) Bucaillism at wikipedia.

(2) الريج فيدا 1 12.
(3) ياجور فيدا 30.
(4) ياجور فيدا 43-33.
(5) ياجور فيدا 30.
(6) آثار فيدا 1 89.

وغيرها الكثير؛ فالحمد لله على الدين الخاتم المعصوم المحفوظ، الذي بلغه لنا أشرف الخلق محمدًا ﷺ، كاملًا غير منقوص.

ولو نظرنا إلى تقرير الظاهرة القرآنية لجانب العقيدة والتوحيد. فالقرآن هو منتهى الرقي في تنقية العقيدة التوحيدية من أية شوائب كفرية؛ يقول د.الطيب بو عزة: «يؤكد القرآن دائمًا دور الكتب المقدسة في المسألة التوحيدية، ومع ذلك يؤكد القرآن دائمًا على إخراج الذات الإلهية من نطاق الأنانية اليهودية - حيث الرب القومي لليهود -، والتعدد المسيحي - حيث عقيدة الثالوث الموغلة في التشويش والارتياب -، فالله ربُّ العالمين واحدٌ أحدٌ ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، ولذا فقد خرجت التعديلات اللاهوتية اللاحقة على اليهودية والمسيحية على يد توما الاكويني وموسى بن ميمون كإفراز لقراءتهم المنشور الإسلامي في عقيدته الصافية بالله، والتي شوهتها معاصي اليهود والمسيحيين، فحاول الرجلان تنسيق ديانتيهما بما يتناسب مع المنشور الجديد الذي سيجذب كل أتباع الديانات إليه إذا لم يحدث تدخل سريع لمواربة الصدع ومحاولة التقرب من عقيدة الإسلام النقية، وإثبات أن كلتا العقيدتين الأخريتين بناؤهما الأصلي وعمادهما أيضًا على توحيد الله في الصيغة النهائية، فالتحسينات التي أُدخلت على العقيدتين لم يكن منها مناص لإيقاف أفواج الداخلين في الدين الجديد»[1].

وفي الختام هل تبقى دعوى لمدعٍ أن القرآن من صنع محمدٍ ﷺ؟

يقول دكتور محمد عبد الله دراز -رحمه الله-: «القرآن إذن صريح في أنه لا صنعة فيه لمحمدٍ ﷺ ولا لأحدٍ من الخلق، وإنما هو منزلٌ من عند الله بلفظه ومعناه ومن العجب أن يبقى بعضُ الناس في حاجةٍ إلى الاستدلال على الشطر الأول من هذه المسألة وهو أنه ليس من عند محمد.

في الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضيًا يقضي بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه.

وأي مصلحةٍ للعاقل الذي يدَّعي لنفسه حق الزعامة ويتحدى الناس بالأعاجيب

(1) من وحي بعض مقالات د. الطيب بو عزة على منتدى التوحيد -بتصرف-.

والمعجزات لتأييد تلك الزعامة، أي مصلحةٍ له كي ينسب بضاعته لغيره ولو انتحلها لما وجد من البشر أحدًا يعارضه و يزعمها لنفسه؟

بل وشهد الرسول ﷺ على نفسه بالعجز ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [يونس: 16]».[1]

إنها قضية عادلة، قضية محايدة، قضية يقتضيها العقل والمنطق ألا وهي: التسليم بأن القرآن الكريم موحًى به من عند الله سبحانه.

«إن اللّه جميل يحب الجمال»

الكون الأنيق Nifty universe

المطلوب من الإنسان ذلك الكائن المادي الذي يقف على قمة السلسلة الحيوانية، والذي يمثل لطخة بروتوبلازمية ثلاثية الأبعاد أن يتعامل مع جمال الفراشة كما يتعامل مع خمائرها الهضمية.

أن يتعامل مع اللوحة البديعة حسب اللون وثمن القماش والتباين اللوني الذي لا يُرهق العين.. لا أكثر..!!

لكن الجمال أحد شروط الإنسان التي لا تنفكُّ عنه، ولا قيمة للعمل مهما كانت فائدته إذا كان خاليًا من العنصر الجمالي..!!

وأصبح الجمال أحد شروط النظرية الفيزيائية..والمعادلة الأكثر جمالًا وبساطة ورونقًا هي الأكثر صحة و إتقانا.

وقد اقتنع [هايزنبرج] بمعادلات ميكانيكا الكم بسبب جمالها.. بل و يرى [بول ديراك] أن « جمال المعادلة يثبت صحة النظرية أكثر من تجريبها.!» [2].

فالجمال هو السِّمة الغالبة، والتجارب قد تخطيء لكن الجمال قلَّما يخطئ..!!

(1) النبأ العظيم ص 21.

(2) العلم في منظوره الجديد.. روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو.. إصدارات عالم المعرفة..ص 45.

ولذا عندما قدَّم [هيرمان فيل] herman weyl نظريته في القياس وجد أنها لا تنطبق على الجاذبية، لكن نظرًا لجمالها كان متأكدًا أن لها مكانًا في فيزياء الكون، وبالفعل بعد زمن ثبت أن نظريته متعلقة بديناميك الكم الكهربائي QED.

بل والمدهش الآن أن العلماء ينصرفون بشدة عن نظرية الأوتار الفائقة؛ لأنها تفتقد الرونق الجمالي والشكل المريح في جميع معادلاتها.. ولذا قال هايزنبرج لأينشتاين: « جمال المعادلة ليس اقتصادًا في التفكير، ولكنه شيء لصيق بطبيعة الكون نفسه»[1].

إن العالِم الفيزيائي العبقري هو الذي يؤمن بجمال الكون ثم ينطلق في أبحاثه من خلال هذه الحقيقة..وتاريخ الكشوف العلمية هو تاريخ الجمال... فالعالِم والفنان ينشدان الهدف الجمالي نفسه مع اختلاف الأدوات.. فالكل يقتنع أن الكون جميل وقوانينه جميلة ولذا يقول [كارل فون ويزاكر] carl von weizacker «البحث عن القوانين الجميلة التي تحكم كوننا لا يُفسر سبب العثور عليها بانتظام وباستمرار»[2].

إن الجمال جوهري فيما دون الذرة وفوق الذرة وفي المِجَرَّة.. ولا ينفك الجمال عن الطبيعة ولا الكون ولا معادلات الكون ولا قوانين الرياضيات التي أنشأ الله بها الكون..!!

لكن يبقى السؤال: العربات البشعة تنقل الركاب أيضًا.. فلماذا تُصر الطبيعة على فلسفة الجمال في كل شيء..لا مُبرر لهذا الأمر إلا لأن الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خالق هذا الكون البديع - جميل يحب الجمال... خالق الكون بمنظومة رياضية عالية الإتقان جميل يحب الجمال...!!

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله جميل يحب الجمال»**[3].

إن متطلبات التخليق الضوئي لا تكفي لتفسير جمال أوراق الأشجار التي تُعَدُّ كل منها لوحة فنية مستقلة..

جمال الذرة، جمال ندف الثلج، جمال ورقة الشجر، جمال صوت العصفور، جمال القمر.. كل كائن يحوي فلسفة جمال، سواء كان هذا الكائن جمادًا أو نباتًا أو حيوانًا..

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) صحيح مسلم.

ولو كان الجمال صدفويًّا لكان نادرًا أو غير موجود، لكنه أصل الفيزياء والكيمياء والعلوم والكائنات..

لماذا الجمال موجود بالتلسكوب وبالعين المجردة وبالميكروسكوب العادي وبالميكروسكوب الإلكتروني؟ لماذا تحرص الطبيعة على الجمال؟ لماذا نحن نستوعب الجمال وندركه؟

عندما تُشرف ورقة القيقب على السقوط يكون لونها تحفة جمالية، لونها عميق الحُمرة وعروقها زرقاء وأطرافها ذهبية في لوحة فنية متكاملة مع أنها ستسقط، وليس ثمة فائدة بيولوجية للأمر... ولذا يقول [ماكس بورن]: «العالِم الحقيقي يؤمن بجمال الطبيعة».

ومهما كان الإنسان بسيطًا فإنه يحرص على تناسق وجمال أدواته وأن يُزركش يد منجله..

عظمة الجمال وجلاله، وفلسفة وجوده، يحملان توقيع الخالق الجميل مُحب الجمال في كل شيء في بلورة الندى وريش الطائر وعشب الحقل وأمواج البحر... الجمال هو عنوان الحياة.. وما ظهر الفساد في البر والبحر إلا بما كسبت أيدي الناس!!!!

كيف تبرر أيها الملحد ماديا توقف الرسالات فجأة في بني إسرائيل؟

ما المبرر المادي لانقطاع النبوة فجأةً في بني إسرائيل، منذ قرابة ألفين وخمسمائة عام إلى يومنا هذا؟

ما المُبرر المادي لتوقف أسفار التوراة فجأةً بعد سفر ملاخي النبي آخر أسفار التوراة.

سفر النبي ملاخي وهو آخر أسفار التوراة يتحدث في آخر فقرة من فقراته عن نبي عظيم قادم للأرض، وفجأة توقفت التوراة منذ قرابة 2500 عام إلى يومنا هذا ما الذي حدث؟

لماذا فجأةً ولأول مرة في تاريخ بني إسرائيل تتوقف النبوات والأسفار والرسالات؟

ما المبرر المادي لهذا الحدث المُعجز والمُستمر إلى الآن؟

أيها الكاهن الملحد! ألا يكفي هذا الدليل المادي لإثبات أصل ظاهرة النبوة.. ألا يكفي استخدام هذا الدليل لإثبات أن النبوة ظاهرة فوق المادية فوق الفيزيقية لا تخضع لرغبات البشر أو نزوات الجموع؟

من المعلوم أنه في بني إسرائيل ما كان يهلك نبي إلا خلفه نبي، ولم يمر يوم من أيام إسرائيل إلا وفيها نبي، حتى وهم في أحلك اللحظات أثناء السبي البابلي والسبي الآشوري، وهم في قمة المجد في عهد داوود النبي، بل ربما كانت توجد مجموعة من الأنبياء في نفس الفترة كما ورد في صموئيل الأول 10:10 بل وورد في سفر الملوك الأول 18: 4 أنه كان يوجد مائة نبي في نفس الفترة، فلم يمض يوم في تاريخ أُمة إسرائيل إلا وفيهم نبي يسوسهم أو يقود أجنادهم أو يؤسس لهم شرائع دينهم، ولذا قال النبي ﷺ: **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي»**.

موسى وهارون وعزرا وداوود ويونان وأخنوخ وأرميا وحزقيال ودانيال وزكريا و... و.... وملاخي.

وفجأة توقفت النبوة بعد ملاخي النبي

فجأة بدون سابق تمهيد

فجأة بدون سابق مبرر

فجأة بدون سبب مادي

توقفت ظاهرة النبوة فجأة في بني إسرائيل.

وإلى يومنا هذا لم يأت نبي بعد ملاخي.

ما السبب المادي لتوقف ظاهرة النبوة فجأة في بني إسرائيل؟

لو كانت النبوة ظاهرة كسبية أو مزيفة فما المانع أن تتكرر بنفس الاضطراد والاستمرار مع الحاجة المُلحة لهذه الظاهرة، خاصَة في النكبات المتكررة التي تعرض لها بنو إسرائيل وبالأخص مثلًا بعد هدم الهيكل الأخير عام 70 ميلادية.

لقد تنبأ ملاخي بظهور إيليا النبي من جديد - أي نبي عظيم سيجدد الشريعة والميثاق ويعيد الناس لشريعة موسى - وفجأةً توقفت النبوات في بني إسرائيل وتوقفت الرسالات وتوقفت الصحف والأسفار.

وفجأةً انتقلت ظاهرة النبوة من بني إسرائيل إلى أُمة أُخرى بعد أن تكرر تحذير الرب لبني

إسرائيل من انتقال الرسالة والخيرية من أمتهم إلى أُمة أُخرى، كما ورد في سفر التثنية 32: 21 وهو نفس ما أثبته الإنجيل: «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ»[1].

لقد تقرر انتقال ظاهرة النبوة والخيرية من بني إسرائيل إلى أُمة أُخرى تعمل بأثمار الرسالة الإلهية.. أليس المسلمون الآن هم الوحيدون على وجه الأرض الذين يعملون بأثمار الرسالات السابقة؟

المسلمون الآن هم أقل شعوب العالم ارتكابًا للفاحشة.. تعاطيًا للمخدرات.. أصحاب أنقى أديان التوحيد على وجه الأرض كما يقول جوستاف لوبون.

في المقابل ضواحي تل أبيب تُرتكب بها جميع أنواع المحرمات والفواحش كما يقول الصحفي الإسرائيلي أمنون روبنشاين وحفلات الشواذ تُقام سنويًا أمام حائط المبكى.

بل إن معدلات ارتكاب جريمة أكل لحم الخنزير لا تختلف في إسرائيل عن أي دولة أوربية، مع أن أكل لحم الخنزير أسماه الرب في التوراة رجاسة الخراب - أكثر شيء نجس على وجه الأرض-، بل إن المسيح -عليه السلام- أخبر في الإنجيل أنه متى أكل اليهود لحم الخنزير في بيت المقدس سيفنى اليهود عن آخرهم: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس ليفهم القارئ، فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية الى الجبال والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئًا. والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام»[2].

إنها نبوءة عن نهاية اليهود قبل يوم القيامة مباشرًة بمجرد إظهار رجاسة الخراب- تدنيس المقدس بلحم الخنزير - وسيكون هذا على يد المسلمين إن شاء الله.

أيضا نقطة أُخرى جوهرية؛ ما الفرق الآن بين عقيدة اليهود وعقيدة النصارى وعقيدة الوثنيين البدائيين؟ كلهم ابتعد عن التوحيد فصار إله اليهود إله قومي وصار إله النصارى مثلث الأقانيم لا يعرفون هل يتوجهون في صلاتهم إلا الآب أم إلى الابن المنتحر على الصليب أم إلى

(1) إنجيل متى: 21: 43.

(2) إنجيل متى: 24: 15.

الروح القدس الذي لا يعرفون ما مصدره هل جاء من الآب أم جاء من الابن أم جاء من كليهما معًا.

وابتعد الجميع عن عقيدة أنبياء العهد القديم التوحيدية الصافية النقية، تلك العقيدة التي أسس لها نوح و إبراهيم و يعقوب و إسحاق وموسى وما تلاهم من أنبياء: «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[1].

وكما جاء في الإنجيل: «فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[2].

أو بلفظ القرآن ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: 117].

ما المبرر المادي لانقطاع النبوة المفاجئ في بني إسرائيل منذ قرابة ألفين وخمسمائة عام إلى يومنا هذا؟

انهيار الدالة الموجية

يتساءل الكاهن الملحد: هل كل هذا الكون مِن أجل الأرض التافهة البسيطة؟

هذه المعضلة الفلسفية جاءت إجابتها مؤخرًا على يد مدرسة كوبنهاجن - أكبر مدرسة فيزيائية في العالم - حين تحدثت تلك المدرسة عن تفسير انهيار الدالة الموجية!

في البداية؛ من منظور فيزياء الكم فإن الكوانتا المرصودة quanta - مثل فوتونات الضوء- لا تظهر كجسيم إلا حين النظر إليها، وعندما لا تنظر إليها فإنها تتصرف كموجة، وهذا ربما يفوق كل السحر الذي ينتجه البشر!

يقول الفيزيائي الشهير نك هربرت Nick Herbert: «هذا الأمر يجعل الإنسان بعض الأحيان يتخيل أن خلفه وهو يسير، يتحول العالم إلى موجه من الذوبان الكلي و يتحول العالم

(1) سفر التثنية: 4: 6.

(2) إنجيل مرقس: 12: 29.

من خلفه إلى حساء الكوانتم، لكن وما إن يلتفت خلفه ليرى الحساء إذا بالأشياء تتجمد والأشجار والأحجار وتعود لطبيعتها العادية والمألوفة.

إننا بهذا المنطق نعيش داخل أسطورة مثل أسطورة ذلك الملك الذي لم يعرف في حياته ملمس الحرير، لأنه ما إن يلمسه يتحول إلى ذهب وهذا بطريقة مماثلة يشبه أنَّ الانسان لن يستطيع أنْ يختبر حقيقة جسيم الضوء لأنَّ كل شيء نلمسه يتحول إلى مادة»[1].

ولذا يرى هايزنبرج أن الملاحظة تؤثر على الظاهرة فالظاهرة والملاحظة غير منفصلتين إحداهما عن الأخرى.

وكانت هذه الرؤية صادمة لأحد عباقرة ميكانيك الكم وهو شرودينجر ولذا صاح ذات مرة بيأسٍ تام قائلًا «إذا كنا سوف نلتزم بتلك القفزات الفيزيائية اللعينة إذن فأنا نادم على أنه كان لي علاقة بنظرية الكم». فأجابه بور قائلًا «لكنك قد فعلت الكثير للنظرية»[2].

ونتيجةً لذلك طرح شرودينجر لغزه الشهير بقطة شرودينجر، حيث توضع قطة داخل صندوق ويتم توجيه سيل من الإلكترونات إلى قنينة غاز سام، وطبقًا لمدرسة كوبنهاجن فإن سيل الإلكترونات لن يتحول إلى حقيقة تعمل حتى ينظر إليها مراقب، وهنا فقط يقرر الإلكترون أن يتحول إلى جسيم ويكسر القنينة ويقتل القطة، أما في غياب المراقب فلا يُتصور إلا أن القطة حية وميتة في آن واحد!!

هذه الرؤية المخيفة للعالم من حولنا التي تقررها مدرسة كوبنهاجن، تقرر أن العالم لا يتحول إلى حقيقة موجودة إلا إذا حضر في أذهاننا ووعينا، ويتخلى عن وجوده إذا غِبنا عنه، وبالتالي فلابد أن يكون هناك كائن أزلي أحضر الكون بهذه الصورة إلى أذهاننا، وجعل الكون شيئًا ظاهريًّا لا قيمة حقيقية له في ذاته، وإنما هو مُسخر كُليًّا لوجودنا ووعينا بوجوده، ونصير نحن مركز هذا الوجود فعليًّا، ومركز تسخيره وقيمته، ولا تصبح له قيمة في ذاته أو معنى في ذاته، وبذلك تنهار الفلسفة المادية، وتتداعى كل تنظيراتها الفلسفية، ولكن قليل من يتدبر

(1) Nick Herbert, «How Large is Starlight? A Brief Look at Quantum Reality,» Revision 10, no. 1 (Summer 1987), pp. 31-35.

(2) الاحتمالات المثيرة للنظرية الكمية تأليف:- ليونيد بونوماريف ص228.

وقليل من يدرك أنَّ الحياة الدنيا مجردُ وجودٍ غروري ظاهري لا أكثر ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [الجاثية: 35].

فالحياة الدنيا مجردُ وجودٍ ظاهري قِشري لا قيمة له في حقيقته ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: 7].

رحلة البروتين معجزة إلهية

الآن ننتقل إلى قضية علمية عجيبة وهي رحلة البروتين داخل الخلية:

في البداية؛ البروتين هو مُركب وظيفي بيولوجي وحدة بنائه الأساسية هي الأحماض الأمينية، وهو يتكون من سلسلة طويلة جدًّا من هذه الأحماض الأمينية، وهناك أكثر من 200 حمض أميني في الطبيعة، لكن لا يوجد في سيتوبلازم الخلية إلا 20 منها - كثير من الحموض الأمينية غير المُستخدمة في تخليق البروتين تُستخدم في عمليات الأيض الغذائي -.

والأحماض الأمينية في الطبيعة أيمن وأيسر كأنهما مرآه، وعلى الرغم من التماثل التام ونفس معدل تواجد الأيمن هو تواجد الأيسر وكلاهما يدخل في تفاعل كيميائي بامتياز، إلا أن اختيار البروتين يكون أيسر فقط؛ لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين بعد ذلك في مرحلة الطي، بينما الأيمن لن يسمح بذلك ولذا فجميع البروتينات يسارية على الإطلاق - حتى أدنى الجراثيم-.

ويوجد في أبسط بكتريا على الأرض ألفا نوع من البروتينات على الأقل..

ولابد أن ترتبط الحموض الأمينية بروابط صحيحة، ولابد من حساب زوايا الربط وأنواع الذرات وعددها، وهذه تسمى الروابط الببتيدية ذات القيمة الهامة في فاعلية البروتين فيما بعد.

لو لم تظهر روابط ببتديدية وظهرت مكانها روابط تساهمية مثلًا أو روابط هيدروجينية فحسب - وكلها توجد في الطبيعة - فإن البروتين سيتحول إلى سلسلة غير مؤثرة ولا عمل لها.

الآن توجد 3 معضلات أمام الصدفة الداروينية البلهاء:

(1) اختيار 20 حمض أميني فقط من أكثر من 200 حمض موجودة في الطبيعة.

(2) الأحماض الأمينية تكون يسارية left-handed.

(3) أن تدخل الأحماض الأمينية في السلسلة المطلوبة، لإنتاج البروتين بنفس الترتيب المثالي المطلوب، مثلًا بروتين الجلوبين داخل الهيموجلوبين يتكون من 600 حمض أميني لو اختل حمض أميني واحد مكان واحد فهذا يعني مهمة قاتلة وهي عدم نقل الأوكسجين، وهذا مرض لا شفاء له لمجرد اختيار حمض أميني مكان حمض في سلسلة من 600 حمض أميني.

هذه معضلات ثلاث تجعل من تخليق أبسط بروتين بالصدفة مستحيلًا.

فهذه اختيارات واعية إما أن تنشأ فجأة أو لا تنشأ، لا يوجد تدرج في الأمر ولا يحتمل التدرج...فسبحان الخالق المدبر ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة: 5].

ويوجد داخل جسم الإنسان ملايين البروتينات لكل بروتين وظيفة محددة للغاية وشكل محدد للغاية ونسق محدد للغاية.. فهرمون الإنسولين بروتين وسم الثعبان بروتين وإنزيمات الهضم بروتينات والأجسام الدفاعية بروتينات والكولاجين بروتين.. وأيضا وظائف الخلية تقوم بها بروتينات غاية في التخصصية وأقل تغيير في الشكل أو النسق يؤدي لنتائج كارثية.

بروتين الكولاجين يحتوي على 1055 حمض أميني وهو يختار حمض الجليسين الأميني في سلسلته الطويلة كثيرًا؛ لأن هذا الحمض يجعل التواء الكولاجين صلب وبالتالي يجعله يؤدي الوظيفة المطلوبة وهي المقاومة في الأنسجة والأربطة، فهناك وعي وتخطيط في الإختيار.

يحمل الهيموجلوبين مثلًا يوميًّا 600 لتر أوكسجين إلى 100 تريليون خلية، وهو بروتين عملاق لذا تتخلص الكرات الحمراء التي تحمله من النواة والسيتوبلازم؛ لأن وظيفتها حمل الأوكسجين لا أكثر، ويتم التنظيف عبر كرات الدم البيضاء.. أيضًا يتخذ الهيموجلوبين الشكل المسموح به لحمل الأوكسجين لا أكثر فهو مُعَدٌّ بعناية لغاية وهدفٍ لا يتخلف عنه.

طلب إنتاج بروتين:

جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي من البروتين توجد مشفرة في نواة الخلية داخل شريط الـDNA بنظام التشفير الرباعي CGTA هذا التشفير يملأ 1000 مجلد بواقع 500

صفحة لكل مجلد - 3 مليار حرف - كلها موجودة في مساحة 1 على 1000 من المليمتر مُلتف على نفسه 100 ألف لفة.

التشفير الرباعي:

المعلومات الرقمية على نظام التشفير في شريط DNA مُشفرة بنظام التشفير الرباعي CGTA التشفير الرباعي الموجود في شريط الـ DNA والذي يحمل كل المعلومات الخاصة بالبروتينات التي سيحتاجها الكائن الحي طيلة عمره، تُمثل لُغزًا من أكبر الألغاز في الوجود، وهنا يتبادر اللغز العجيب مَن الذي قام بالتشفير أولًا ثم قام بفك التشفير بعد ذلك؟

فالتشفير عملية في غاية الذكاء والإعداد للمستقبل والضبط بعناية، وتخزين المعلومات ونقلها وحفظها واستخدامها بعد ذلك عند الحاجة..

المهم أن بداية رحلة تخليق البروتين تكون كالتالي:

يصل إنزيم بوليمرز إلى نواة الخلية حاملًا طلب النَسخ على RNA الرسول ويجد الحروف المطلوبة داخل شريط الـ DNA.

طريقة عثور إنزيم بوليمرز على المعلومات المطلوبة لتصنيع بروتين واحد، هي مثل محاولة العثور على بضعة سطور في موسوعة مكونة من 1000 مجلد، ويفتح إنزيم بوليمرز شريط DNA كالسوسته ليُخرج البيانات، وهذا الفتح السريع ربما يؤدي إلى الحرق لكن الأمر مُعد بعناية والتنظيف والتبريد أولًا بأول لا يتوقف.. ويقوم الإنزيم بفتح الجزء اللولبي من الـ DNA ويبقيه مفتوحًا حتى يتم استخراج كافة المعلومات - المُشفرة - لتصنيع البروتين ولا يتم فتح أي أجزاء أخرى لا حاجة لها... وأي قفزة خاطئة أثناء النسخ أوترك حرف أو زيادة حرف قد تسبب نشأة بروتين مشوه مما يعني الإصابة بالسرطان؛ فمثلا الجين المسئول عن سرطان الثدي يوجد به 8 آلاف قاعدة نيتروجينية وفي واحدة منها توجد G بدلا من T وهنا يحدث السرطان بنسبة 85 %.. لأن البروتين المُنتج مشوه.

وأحد أشهر أسباب التشوه تكمن في التعرض للإشعاع والبنزين والمواد الكيماوية والمسرطنة.

بعد الحصول على الشفرة من الـ DNA، فإن المسافة التي يقطعها RNA الرسول إلى الريبوزوم - مكان تصنيع البروتين - في أثناء عودته هي مسافة طويلة نسبيًّا ويكون عُرضة للتشوه لذا يكون مُحاطًا دائمًا بإنزيمات الحماية والأمان.

بمجرد وصول الشفرة - شفرة تصنيع البروتين إلى الريبوزوم - مصنع البروتين - تظهر مشكلة جوهرية فلُغة المعلومة في الـ DNA هي لغة الكودون المُكون من 3 حروف - قواعد نيتروجينية - في حين لُغة الحمض الأميني هي لُغة من 20 حرف 20 - نوع حمض أميني - ولأجل ترجمة لغة الكودون إلى لغة الحمض الأميني فإنه يوجد في الريبوزوم قرابة 100 جزيء يختص بالترجمة.

بعد وصول النسخة إلى الريبوزوم - المصنع - يقوم RNA الناقل بنقل الأحماض الأمينية من السيتوسول إلى الريبوزوم لتبدأ عملية التصنيع طبقا للشفرة الموجودة.

ستتحول الآن هذه الشفرة إلى كائن ثلاثي الأبعاد يقوم بوظيفة يُسمى البروتين.

إذن داخل الريبوزوم - مصنع تخليق البروتين - تنتقل الأحماض الأمينية الموجودة في السيتوسول إلى الريبوزوم عن طريق RNA الناقل.

الآن يُشترط للبدء في التصنيع فيتامين سي وبعد الإنزيمات المتخصصة... أي عبث أو خلل أو قصور في هذه الإنزيمات يعني خلل للبروتين، وبالتالي خلل للجسم كله، إنها عملية معقدة غير قابلة للاختزال ولا للتطور إما تظهر فجأة أو لا تظهر، وبعد طباعة الكود وتخليق البروتين يصبح بلا قيمة ولا هدف لأنه سلسلة طويلة غير مبرمجة للقيام بأي عمل.

ليتحول البروتين من مجرد سلسلة طويلة من الأحماض الأمينية إلى بروتين وظيفي مُبرمَج للقيام بعمل لابد أن يدخل مرحلة الطي والانثناء والانحناء؛ ليأخذ الشكل المناسب الخاص به، وهنا ندخل ضرب لا نهائي من الاحتمالات يزيد على مليارات الاحتمالات، فهو يمكن أن يُنتج مليارات الأشكال والمطلوب شكل واحد فقط، وصورة ثلاثية الأبعاد معينة أي شكل آخر غير مقبول، وفي اللحظة التي يصل فيها للشكل المطلوب نستطيع أن نقول إننا حصلنا على البروتين الوظيفي.

وشكل البروتين أمر قطعي في وظيفته، مثلًا لابد أن يلتف بروتين الميوسين إلى شكل

يشبه سلك سماعة الهاتف؛ لأنه سيغذي الشعر والعضلات، وبالتالي سيتعرض للشد والجذب والتفكك ثم الالتحام... وهذه العلاقة التي تُنتج بروتينًا مُبرمجًا تحتاج إلى وقفة أخرى.

بروتين الفيبرين في شبكة العنكبوت يملك خاصية الالتفاف مع شدة القوة في نفس الوقت، وإلا لانقرض العنكبوت.

الانحناء بشكل خاطئ في جهة واحدة أو في حمض أميني واحد يؤدي إلى بروتين غير فعال.

كل هذه الوظائف والمهام والرسائل وعملية تخليق البروتين كاملة لا تتجاوز ثواني معدودة داخل الخلية وخمسين خلية لن تشغل النقطة الصغيرة في نهاية الجملة.

إذن لإنتاج بروتين فعال فإننا بحاجة إلى:

1- 300 جزيء ضخم يكون بينهم على الأقل 80 ريبوسوم

2 - 20 جزيء لإحضار الأحماض الأمينية

3- العشرات من الإنزيمات

4- 100 إنزيم للعملية النهائية - التشطيب-

5- 40 جزيء RNA - مهندسين -.

الآن ما هي احتمالية تكوين بروتين مثل بروتين الكولاجين بالصدفة؟

يوجد في الطبيعة أكثر من 200 حمض أميني مُختلف ويوجد في سيتوبلازم الخلية 20 حمض أميني والمطلوب من RNA الناقل أن ينقل لنا في كل مرة حمض أميني يتوافق مع الترتيب الخاص ببروتين كبروتين الكولاجين، وبما أن سلسلة بروتين الكولاجين تتكون من 1055 حمض أميني إذن الاحتمالية لتخليق بروتين الكولاجين بالصدفة تصبح 10 أس 527 والأمر لن يتوقف عند ذلك، فلابد أن تكون السلسلة عسراء - فالأ حماض الأمينية في الطبيعة أيمن وأيسر وقلنا أن الإختيار لا يقع إلا على الأيسر فقط؛ لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين بعد ذلك في مرحلة الطي بينما الأيمن لن يسمح بذلك- وهنا يصبح 10 أس 527 مضروبًا

في 2 ليصبح 10أس 1054 وهذا هو الجنون الرياضي.. فاحتمالية الشيء إذا زادت على 10 أس 50 فإنها تساوي الصفر رياضيًّا.

وهناك حساب آخر لاحتمالية تخليق بروتين بالصدفة قام به العالم دوغ اكس الحاصل على الدكتوراة في البيولوجيا الجزيئية من كالتك؛ حيث قام بحساب تكوين جزيء بروتين صغير وظيفي يتكون من 150 حمض أميني، وقال: لديك فرصة من اثنين من كل جانب ليتكون لديك الحمض الأميني المناسب، ثم بعد ارتباط حمضين أمينيين بالصدفة ويكونان هما المطلوبين في هذا المكان، يصبح لديك فرصة من أربعة لارتباط حمضين أمينيين بالحمضين المتكونين وهكذا إلى أن يترابط 150 حمض أميني وهنا وصلنا للاحتمال 10 أُس 74 فكل مرة يصبح الاحتمال مرفوعًا إلى ضعف القوة.. وبعد أن يتكون البروتين تصبح لدينا معضلة التناظر اليساري - الحمض الأميني الأيسر فقط هو المطلوب- إذن هنا سيكون الاحتمال 10 أس 164 هذا احتمال تكوين بروتين وظيفي بسيط.

هل حدث في تاريخ البشرية أن يأتي عاقل ونُطلعه على هذه المعطيات ثم نقول له الحياة نشأت بالصدفة ويصدقنا؟ لا يوجد عالم جاد يعتقد أن الحياة نشأت عن طريق الصدفة.

وللذين يجهلون لغة الرياضيات ولا يعرفون ما معنى 10 أُس أي رقم..

فهذه بعض المعلومات لتوضيح الأمر:

عدد الذرات الموجودة في الكون كله 10 أس 80.

مضى على الانفجار الكبير 10 اس 16 ثانية فقط.

جميع الأحداث التي حدثت منذ بداية الكون هي 10 أس 139 فمثلًا عندما أكتب الآن هذه الكلمات حدث بداخلي أنا وحدي آلاف الاحداث.

لذا من أجل إنتاج بروتين واحد بسيط وظيفي نحن بحاجة إلى برميل يوجد بداخله خليط من الأحماض الأمينية، بشرط أن يكون حجم هذا البرميل مليارات مليارات مليارات أضعاف حجم الكون، ويأخذ فترة من الوقت مليارات مليارات مليارات أضعاف عمر الكون.... كل هذا من أجل انتاج بروتين وظيفي بسيط.

ولو استخدمنا مليارات المليارات من الكمبيوترات بسرعات مذهلة لمحاكاة هذه الاحتمالات فلن يكفيها عمر الكون كلّه لإنتاج بروتين واحد بالصدفة.

هذه الاحتمالية المدهشة ولم ندخل بعد في باب احتمالات طي البروتين وهو الباب الأوسع

المهم بعد إنتاج البروتين يتم نقله إلى مكان عمله ليأخذ دوره ووظيفته.. عملية النقل ووسيلة النقل، ومعرفة كل بروتين وظيفته ومساندته بالإنزيمات في رحلته كل هذه ألغاز لم تتكشف للعلم بعد.

لذا يشعر الإنسان بالحياء من ارتكاب ذنب استخدم فيه آلاف البروتينات خُلقت بمنتهى الحكمة والإتقان وبديع الصنعة، فكل نظرة وكل همسة وكل حركة تستغرق بروتينات مُسيرة داخل جسدك لتنفيذ أوامرك، هذه البروتينات جاءت بنظام تشفير رباعي غاية في الإتقان والحفظ والأمانة في النقل، فالبروتين يُلزم الإنسان بالخضوع جبرًا للخالق القاهر القادر العظيم في خلقته وصنعته ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: 21].

إن عملية عملاقة كتخليق البروتين تجري كل لحظة في كل خلية، بدون صخب ولا ضوضاء ولا نفايات وبمنتهى الدقة والعناية والحسابات المستقبلية وبطريقة معقدة لا تقبل الاختزال، تجعل الإنسان ينحني أمام جلال روعة صنع الله وبديع خلقه.

أي نقص أو تقصير أو خلل في طريقة تصنيع البروتين يعني عدم الوجود، فالضبط بعناية والحساب للمستقبل والخلق المباشر أعجوبة من أعاجيب الخلق وحسن الضبط ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ [السجدة: 7].

ولذا تعترف مجلة الـ AMERICAN SCIENTIST العلمية المتخصصة بأن الجواب عن طريقة تخليق البروتين يجب أن يكون خارج آراء داروين؛ لأن الوضع المذكور يشكّل دليلًا قويًّا يستلزم خلقًا مباشرًا[1].

يقول الكيميائي الشهير [ميشيل بيتمان]: كما هو معروف أن عدد الذرات في الكون هو 10 أس 80 وقد مضى منذ الانفجار العظيم 10 اس 17 ثانية واستمرار الحياة يحتاج إلى نحو

(1) AMERICAN SCIENTIST 59 p.298.

2000 من الإنزيمات الأساسية، إذن عدد الاحتمالات لتكوين إنزيم واحد فقط أكبر من 10 أس 20 أما احتمال تكوينهم جميعا فيصبح 10 أس 4000 وهذا مستحيل الحدوث حتى لو كان الكون كله سائلًا عضويًّا[1].

«الله له كل صفات الكمال»

روعة الخلق الإلهي في لحظة البدء

إن قوانين الفيزياء التي ظهرت في أول ثانية من نشأة الكون هي نفسها التي تحكم عالمنا اليوم، هذه القوانين تم ضبطها بعناية Fine Tuned، و إلا فإن أي خلل أو أي تغيير في أي من الثوابت الكونية سيفرز كونًا مُجهضًا وسيظل بيضة كونية Cosmic egg.

يقول علماء الفيزياء أنه عند اللحظة 10 أس - 43 من الثانية وهي لحظة لا يمكن استيعابها لقصرها الشديد ظهر كل شيء فجأة وظهر الكون، ففي جزء من مليون من مليون من مليون من مليون من مليون من الثانية ظهر الكون من أصغر من ذرة إلى أكبر من مجرة.. كما يقول [اليكس فلبينكو] عالم الفيزياء الفلكية جامعة كاليفورنيا.

ففي اللحظة صفر عندما لم تكن هناك مادة أو زمن، نشأ الكون ووحدات بنائه في إطار مُخطط عظيم، وفي أقل من ثانية كان حجم الكون أكبر من مجرة درب التبانة بملايين المرات.

لقد ظهرت كل الطاقة فجأة وتكوَّن النظام المثالي والقوانين الثابتة والثوابت الكونية المدهشة في لحظة الخلق العُظمى والإبداع الأدهش على الإطلاق.

---

(1) Micheal Ptman Adam and evolution 1984 p.148.

مصادر المقال:

1- معجزة البروتين.. المؤلف:هارون يحيى.

2- http://en.wikipedia.org/wiki/Protein

3- http://en.wikipedia.org/wiki/Collagen

4- http://en.wikipedia.org/wiki/Protein_biosynthesis

5- موسوعة الرد على الملحدين العرب.-لنفس المؤلف-.

6- http://www.proteinatlas.org/

7- http://www.cdc.gov/nutrition/everyone/basics/protein.html

روعة الخلق الإلهي في جسدك:

أيضًا بِنيتك الجسدية بثوابتها الهرمونية الغاية في الضبط دليل رعاية إلهية!

مثلًا هرمون الألدوستيرون الذي يغذي جميع البشر على وجه الارض يملأ هذا الهرمون ملعقة شاي فقط لا غير.. تخيل تقسيم ملعقة شاي على جميع سكان الارض وأي زيادة في النسبة عن 2 جزء في المليون - النسبة هي واحد جزء في المليون - تعتبر زيادة قاتلة..!!

كذلك هرمون الأدرينالين الذي يضبط الإنفعال ومواجهة المخاطر، يوجد بنسبة مقاربة، ولو زادت نسبته قليلًا لتوترت عضلة القلب وتحولت حياة الإنسان إلى جحيم.

هذه فقط شذرات تُغني عن الطرح الطويل وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه الواحد العظيم الخالق المبدع - وقد خصصنا الفصل القادم من هذا الكتاب للحديث فقط عن روعة الخلق-.. فالله لا يُعرف وجودُ شيء بغيره.. ثم يتساءل ملحد أين الله؟

هل مسألة وجود الله محل نزاع؟ هل المُوجِد محل نزاع أم الموجود؟ هل هناك عاقل يتردد في المُسبِب؟، هذه بداهة عقلية مركوزة في الأذهان فهي أعلى من القانون وعليها تقوم علوم الدنيا ومقاصد الغايات.. فما بالنا وقد ثبت التدخل الإلهي والعناية الإلهية في كل شيء بدءًا من الذرة وحركتها والإلكترون ومداره والكون وأفلاكه والإنسان وخصائصه والخلية وتكوينها والبروتين وتصنيعه والحياة والوعي بها..!!

إن البشرية كلها عبر الزمان وعبر المكان لم توجد بها قرية ولا نجع بغير إيمان بالله ولا يُعرف تاريخ الإنسان إلا في إطار الدين والإيمان بوجود الله، ولم توضع فلسفات العالم ومحارات عقول العالم إلا من أجل التأسيس للدين... والمنطق منذ أرسطو إلى يومنا هذا يدور في إطار وجود الله كقضية بديهية.. يقول المؤرخ الإغريقي [بلوتارك]: «لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد». وجود الله قضية أزلية محسومة..، وصراع الأنبياء مع أقوامهم لم يكن حول وجود الله وإنما حول عبادة الله...، وإذا كانت [كارين أرمسترونج] التي كانت تُعد لفترة مضت من أكبر مُنظري الإلحاد في العالم تؤسس الآن لصحة الأسطورة في أصلها، فإنه ما من أُسطورة سادت أُمة من الأُمم إلا وقالبها الأصلي صحيح.

الله الذي لا يُعرف وجود شيء بغيره كما يقول فيلسوف الفيزياء اللاديني [جون ويلر]: « الحقائق لا توجد حقائق قبل أن نكتشفها..فكل شيء خلفك سراب ووهم ولا يتحول لحقيقة إلا بعد الرصد ولولا رعاية خاصة ورصد من خارج حدود الزمكان كل فيمتو ثانية لما كان هناك شيء».

إن الكونَ خيرُ شاهدٍ كلَّ يوم على عظيم الخلق وروعة الصنع وملكوت يسبح بحمد الله كل آن... ولا يشذ عن هذا التسبيح إلا كافري الإنس والجن... فالكافر هو شذوذ في ملكوت يسبح بحمد الله ويخضع له ولا يتمرد.

والفرق بين الإسلام وبقية أديان الأرض أن الإسلام يقرر العبودية لله الواحد، بينما البقية تقرر إشراك آلهة صغرى في الموضوع، وصراع الأنبياء مع أقوامهم لم يكن حول وجود الله و إنما حول عبادة الله...

إذا ظمأنا للماء فهذا أكبر دليل على وجود الماء، وكلنا نظمأ للعدل والحق والخير، فهذا يعني وجود العادل الحق كلي الخير.....

إن قلبَ كلِّ ملحدٍ نابضٌ بوجود الله رغمًا عنه.. ولذا يقول الملحد زياد الرحباني: «أمريكا مع السُّنَّة وروسيا مع الشيعة، أما الملحدون فلهم الله»!

وفولتير أشهر ملحد عبر كل العصور في أواخر حياته قام ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها «يا رب اذكر عبدك فولتير». إنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين.